اوَّلهُ في بلاد الكلب ومنتهاهُ عند الاسكندريَّة بناء على قياس مثلثات الزوايا . ولهذا القياس مزيَّة وهو انَّ الخطَّ الهاجري المقيس يمتدُّ نظاميًّا على جهتي خط الاستواء.

وخلاصة الكلام انَّ الاقيسة المتعدِّدة التي توَلَّى صنعها علماء القرن الثامن عشر أدَّت بهم الى بيان كون الارض ليست كرةً تامَّة . وفي القسم الاوَّل من القرن التاسع عشر ثبت لديهم انَّ الارض كاهليلج مفلطح . واليوم يصرفون عنايتهم الى ضبط الاقيسة السابقة وتعريف صورة الكرة وما يطرأ عليها من التجعُّدات والتثنيات في كل قسم من اقسام المعمور . ولله المجد في كل حال

ما فُقد في لبنان من قديم الحيوان

نظر الاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي (تتمة)

انَّ وجود حيوانات كبيرة كالاسد والفيل في لبنان كان من شأنهِ ان يجعل لغاباتهِ هيئةً غير مألوفة ولا مأنوسة ومن ثمَّ نفهم لماذا كان يشمل الرعب عند قطعها قدماء المصريين الذين كان يسوقهم الدهر او طلب الارتزاق الى المرور بها . فكان الرجل من وادي النيل أليف الاماكن المنبسطة والمناظر المنكشفة في بلادهِ اذا قصد الاقطار الشامية يوصي بمالهِ لاهليهِ لخوفهِ من السباع (١ فلم تكن سوريَّة في عينهِ سوى غابة سوداء اجتمعت بها افواجًا وزرافات اصناف الحيوان الضارية كالاسد والنمر والفيل ولشباهها

ولم يكن المشهد في مياه الانهر والبحيرات باضعف حركةً منها في الصحراء والجبال فكان يلعب فيها فرس الماء ويعبث التمساح وقد وُصف ذلك في سفر ايوب وصفًا بديعًا فائضًا في الشعر بالغًا في التأثير فمنها بهموت ولوياثان في نصّ المؤلف الالهي (٢

وقد ارتأى قومٌ من مفسّري الكتاب المقدَّس ان واضع سفر ايوب اخذ معلوماتهِ عن مصادر مصريَّة في وصف هذه الحيوانات المشتركة العيشة بين البرّ والماء . واما نحن

---

١) راجع Maspéro: *Histoire ancienne*, II, 17

٢) ايوب سفر (ف ٤٠ و ٤١)

فعندنا وجه اسهل لحلّ هذه المسألة فلم يكن من حاجة لأيوب ان يبتعد عن سوريّة لوصفها اذ كانت هذه الحيوانات موجودة فيها منذ ذلك الحين البعيد العهد

واعلم انّ وادي الاردن من غريب ما شوهد على سطح الكرة بوضعه الطبيعي وتركيبه الجغرافي بحيث يمثّل للعين انخفاض يبلغ عمقهُ عند منتهاه (عند بحر لوط) زهاء ٤٠٠ متر دون البحر المتوسط ففي هذا الغور الذي لا مثيل لهُ في الدنيا يسود حرٌّ شديد ابتداؤهُ في اوائل ايّار فيتراوح وقتئذٍ ميزان الحرارة في النهار بين ٤٠ و ٥٠ درجة من ميزان سنتغراد وينشأ في تربة ذلك الوادي الحارّة نبات اشبه بنبات خط الاستواء في افريقية لا يشبه نبات سوريّة وفلسطين بشيء

فعلى شواطئ بحيرة الحولة تنمو طاقات البرديّ الخضراء حتى يومنا والبرديُّ نبات كان قديماً زينة مصر ومجدها ولا يرى منهُ الآن في كل وادي النيل اللهمَّ الّا في بلاد السودان الجنوبيــة وايُّ عجبٍ اذا وجدنا بارضٍ تشبه ارض افريقية بتربتها الحارّة ونباتها الخاصّ ما نجده من الحيوان في قارة افريقية . وهذا ما كان بلا ريب في عهد ايوب فنتخيل عهدئذٍ بحيرة الحولة تحرّك مياهها التماسيح والافراس النهريّة وهي تمرح بين غياض البردي . فايوب حسب التقليد قطن حوران وسكن ناحية جولان فلا غرو اذا ما شاهد من اعالي شرفات هذا النجد المطلّ على الحولة والاردن حيوانات البرّ والبحر العظيمة ووقف على احوالها دون ان ينحدر الى مصر . على انها في الوقت الحاضر خلت من فرس الماء ولم يزل فيها التمساح وهاك البرهان :

*

ذكر بطليموس وباين ولسطرابون مدينة بجانب الكرمل اسمها مدينة التمساح (Crocodilopolis) (١ وقد اتى بلين (٢ فوق ذلك على ذكر نهر بهذا الاسم في تلك الحدود وهذا النهر العميق الماء الخامد الحركة يُظنُّ بهِ عموماً انهُ نهر الزرقاء المجاور قيصارية شماليّ هذه المدينة وهناك يتكوّن منهُ مستنقع دائرته نحو الفرسخ ويدعى حتى اليوم باسم يعبّر عن حقيقة حاله اي مستنقع التمساح وعلى حافته تنمو بكثرة غياض

١) راجع Strabon: *Geogr.* XVI

٢) Plin: *Hist. natur.* V, XVII

البردي وغيره من الشجيرات فاسم المدينة واسم النهر يسوغان لنا ان نحكم بوجود تلك الزحافات فيهما في غابر الزمن على الاقل فضلاً عمّا لدينا من الشهادات الجمّة قديمة وحديثة تبيّن نفس الشيء باستفاضة لا تبقي في العقل شكًّا . . .

ففي الجيل الحادي عشر ذكر الجوّالة الفارسي نصري خسرو جنوبيّ الكرمل وادي التماسيح (١ وشهد على مثل ذلك في الجيلين الثالث عشر والرابع عشر مارين سانوتو وجاك دي ڤيتري . فالثاني يقول : التمساح موجود في نهر قيصاريّة وهو يفترس الانسان والحيوان وطولهُ في الغالب قدر عشرين ذراعًا (٢ ولمّا نزل ريكاردوس قلب الاسد ملك انكلترة عند نهر الزرقاء افترس التمساح اثنين من جنوده (٣ ويقول برخارد الصهيوني المنتمي الى رهبنة مار عبد الاحد والذي تجوّل في سوريّة في اواخر الجيل الثالث عشر : ان التماسيح كثيرة في بحيرة قيصاريّة وانهُ لم ينفلت هو من شرّها الّا بالعجوبة

وقد قال قولهُ من بعده كثير غيره من زوّار الارض المقدّسة غير انّنا لا نورد اسماءهم لانهم رُواة يروون ما سمعوا وليسوا شهود عين يحكون ما نظروا اللهم الّا بوركهارد الانكليزي سنة ١٢٧٣

*

هذه شواهد الماضي واماً في الحاضر فلدينا اصرح الادلّة واصدق الشهود عن وجود التمساح في الزرقاء بل وفي غيره من مياه فلسطين

فالاحاديث المنقولة والاسانيد المرويّة عن نهر الزرقاء يبلغ عددها الى ما لا يكاد ينتهي واوّلهم المرسل الاميركاني تومسون الذي كتب سنة ١٨٥٧ (٤ ثمّ العلّامة پيارونى (Pierotti) مهندس ولاية القدس وقد عثر في سيره نحو منبع الزرقاء على بقايا سلخ تمساح اخصُّها بقايا الراس (٥ وفي سنة ١٨٧٧ قبض الالمانيون في حيفا بالموضع

---

١) راجع الترجمة الفرنسيّة لشيفر (Schefer)

٢) راجع Gesta Dei per Francos (ص٣-١١)

٣) راجع Histoire de la guerre sainte (éd. de Paris) (ص٥٢٦)

٤) راجع The Land and the Book (ص٤٩٧) . ثم ZDPV, XIII, 340

٥) راجع مقالة التماسيح في فلسطين للاب دي سنت ايان (de St Aignan) ص ١٠

نفسه على انثى التمساح (١ وقد تعدّد مثل هذه الاكتشافات في السنين الخمس والعشرين الاخيرة . وفي سنة ١٨٩٣ وجدوا فيه هيكل تمساح وست بيضات فحُشي الهيكل بالتبن وأُرسل الى القدس

واما البيض فنقست واحدة منها وأُرسلت واحدة الى العلّامة صموئيل ميريل قنصل اميركة في اورشليم وبُعث بالأُخر الى باريس (٢ فهذه الاكتشافات المتعدّدة تدلُّ على انَّ التمساح يعيش ويتناسل في بطاح نهر الزرقاء وغدرانه الّا انهُ ليس بكثير التناسل لانَّ سطح الارض الذي تفمرهُ الاغدرة لا يبلغ عشرة هكتارات

وهذه الزحّافات موجودة في غير اماكن من فلسطين .ففي السهل الكثير الرمل المدقع ذي الكثبان المتعدّدة الممتدّ بين حيفا وعكّا مصبّ نهر المقطّع المعروف عند الاقدمين باسم قيسون فهذا النهر تغزر مياههُ عند آخر حدوده على مسافة ثلاثة الاف متر عن البحر لانهُ لا يصادف هناك انحدارًا كافيًا وتنتصب في وجهه الرمال المتكوّنة عند مصبّه فتحول الحواجز بينهُ وبين البحر فيستنقع السهل وتتسع مستنقعاتهُ وينبت فيها النباتات وتنمو فتتشبّك سيالها ففي سنة ١٨٦٩ ارتاد الجوّالة الانكليزي ماك كريكور على زورق غدرانَ نهر المقطّع وجراه الاوطى فطلع عليه بغتةً من الماء تمساح وكاد يثلب الزورق فاذهلهُ ما اتّفق لهُ مما لم يكن في الحسبان فرفأ بقاربه الى الشاطئ فابصر عليه آثار تماسيح متعدّدة . وقد التقى مرّة ثانية في تلك النواحي بهذا الحيوان الهائل الذي لم يعد من سبيل للارتياب بوجوده في نهر المقطّع (٣ . وحتى اليوم لم يكتشفوا على شيء منهُ في بحيرة الحولة ولا في بحيرة طبريّة وفي حكمنا انهُ كان فيهما قديمًا ورُجح وجودهُ في نهر الشريعة اليوم

ومما يحملنا على هذا الترجيح ما جاء في رحَل الزوّار الاقدمين من القصص والاخبار عن نكبات بعض السوّاح ممّن ذهب بهم التمساح عند استحمامهم في الاردن

وبعض حوادث اقرب عهدًا تزيدنا في الامر صدقًا والى اليوم ليس من حادث او

---

١) اطلب دليل يذكر الطبعة الرابعة الالمانيّة (ص ٢٦٥) ولورته (Syrie d'aujourd'hui (ص ١٧٤)

٢) راجع المجلة الفلسطينيّة الانكليزية P E F سنة ١٨٩٣ (ص ١٨٣ و ٢٦٠)

٣) راجع كتاب « ماك كريكور » المعنون (The Rob Roy on the Jordan, 398)

اكتشاف في الاردن كما في الزرقاء والمقطّم مما يترّه الحقيقة عن كل ريب وذلك متأتٍ عن عسر سير الاردن في مجراه الاسفل (١ ولعلّ التمساح موجود في النهر الاخضر جنوبيّ قيصاريّة كما وفي غيره من مياه تلك الناحية . وفي رأي العلامة لورته الذي فحص تمساحاً محشوًّا (مصبّرًا) ان تمساح فلسطين يختلف نوعاً عن تمساح النيل (٢ ومن المقرّر الثابت ان تماسيح فلسطين اصغر جدًّا ولا يزيد طولها على متر ونصف ولا بأس منها الّا على المواشي فتفتك بها احياناً

*

وانّما الصعب في هذا بيان طريق وصول هذه الزحّافات الى الاقطار الشاميّة . أهي اصلية ووطنية ام نُقلت من خارج . فالرأي الاوّل قريب من الصحّة على ما نرى وهو رأي العلامة لورته الذي ينكر كون اصلها من مصر . فالمواضع التي ثبت بها وجود هذا الحيوان في فلسطين تشبه مصر بنوع نباتها فان كانت الواردات واحوال الجوّ والهواء واحدة في القطرين فلمَ لا يتشابهان ايضاً بنوع الحيوان . فلا شيء اذن يحول دون وجود التمساح بل كلّ شيء يدعو اليه . على انّ بعض العلماء يستصوبون القول بنقل هذا الحيوان الى فلسطين ورأيهم ان المصريين نقلوهُ اليها . ونحن نعلم ان فلسطين كانت جيلًا طويلًا في حكم الفراعنة فلا يبعد ان يكون من اقام في هذه البلاد من المصريين قد احبّوا جوار هذا الحيوان الذي هو من معبوداتهم فاستصحبوهُ

ومما نعلمهُ ايضاً ان رعمسيس الثالث بعث بالتماسيح وافراس الماء هديّةً الى تغلات فلاّسر ملك اشور (٣ وربّما وصل التمساح الى فلسطين لحادثٍ نظير هذا ومهما يكن من امر هذه التأويلات والايضاحات فقد تقرّر لدينا وجود هذه الزحّافات في كثير من مياه فلسطين الشمالية وكل شيء يحملنا على التسليم بانها كانت اوفر عدداً في الازمنة العريقة في القدم وسواء كانت اصلية ام منقولة فقد توالدت وانتشرت على وجه القطر

ولا يصعب علينا القول انهُ في عهد ما كان الفيل يجوب احراج لبنان كان التمساح يعبث في مياه الجبل ومستنقعاته كالليطاني القريب من بحيرة الحولة والاردن وقد كان بلا

---

١) راجع مقالة الاب دي سنت انيان السابق ذكرها

٢) راجع كتاب الدكتور لورته (Syrie d'aujourd'hui)

٣) راجع سيرو: تاريخ الشرق (الطبعة المختصرة . ص ٣٥١)

ريب وافر العدد فيهما قديمًا على عهد ايوب البار. اما نموّ العمران واتساع الزراعة وامتداد المساكن اصبحت بعد ذلك ضربة قاضية على وجودها في تلك النواحي الندية. ولم يكن للفينيقيين حاجة في عبادتها كالمصريين ولا بُدَّ انهم بذلوا الجهود في استئصال شأفة تلك الحيرة المؤذية او في حملها على المهاجرة الى جهات اعرق في الجنوب حيث نجد منها بقايا في ايامنا

فوائد صرفية ونحوية

لحضرة الاب دون يوحنا مرتا المرسل الرسولي اللاتيني وقانونيّ القبر المقدّس في القدس الشريف

١ شتّ مصدر شتَّ

قال صاحب التاج في ترجمة شتّ: «وقومٌ شَتَّى متفرّقون وأشياء شَتَّى. قال شيخنا قيل انهُ جمع شتيت كمرضى ومريض (وبهِ جزم الزمخشري في الكشّاف) وقيل مفرد». والأصحُّ عندي انهُ مصدر مؤنث على وزن فَعْلَى كَرَعْبَى وشَكْوى بمعنى الشتّ والشتات والشتيت وإن لم تذكرهُ المعاجم بين مصادر شتَّ. والدليل على ذلك انهُ يُستعمل بلفظٍ واحد مع المفرد والمثنى والجمع كسائر المصادر الواقعة وصفًا نحو قولك رجلٌ عدلٌ ورجلانِ عدلٌ ورجالٌ عدلٌ. فيُقال في المفرد: «وقعوا في أمرٍ شتّ وشتَّى» كما نقلهُ صاحب اللسان. «وانَّ سَعْيَكُم لشتَّى» ومنهُ قول تأبّط شرًّا:

قَلِيلُ التَّشَكِّي للمُهِمِّ يُصِيبُهُ كثيرُ الهَوَى شتَّى النَّوَى والمَسَالِكِ

قال التبريزي في شرح ديوان الحماسة: «ويريد بقولهِ "شتَّى" المتفرّقُ. ولا حاجة الى القول ان الشاعر اراد شتَّان النوى فحذف النون للضرورة» كما زعم بعض المحررين

ويُقال في الجمع: «قومٌ شتَّى. وقلوبهم شتَّى. ويصدرون مصادر شتَّى»

ويُقال ايضًا في المثنَّى: «ليستْ (اي لفظة لَنْ) من كلمتين شتَّى» كما قالهُ إمام النحاة سيبويه في كتابهِ (١. ومن ذلك قول طهمان بن عمرو الكلابيّ نقلهُ ابن منظور وصاحب التاج في مادة غرب:

١) راجع طبعة باريس ١٨٨١ جزء ١ ص ٢٦١